



بإشراف الشيخ أبي الحسن علي الرملي

تفريغ دروس القواعد المثلى

شرح الشيخ علي الرملي حفظه الله

المستوى الثاني

الدرس رقم (19)

التاريخ: الخميس: 03/ربيع الأول/1441 هـ

31/أكتوبر/2019 م

الدرس التاسع عشر من "القواعد المثلى"

قال المؤلف: (المثال الثالث: "إني لأجد نفسَ الرحمن من قبَلِ اليمن" والجواب: أن هذا الحديث رواه الإمام أحمد في "المسند" من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: "ألا إن الإيمان يمان والحكمة يمانية، وأجد نفسَ ربكم من قبل اليمن". قال في مجمع الزوائد: "رجالُه رجال الصَّحيح، غير شبيب وهو ثقة" ⁽¹⁾. قلت وكذا قال في "التقريب" ⁽²⁾ عن شبيب: ثقة من الثالثة، وقد روى البخاري نحوه في التاريخ الكبير ⁽³⁾

كتاب "مجمع الزوائد" هو كتاب للهيثمى رحمه الله. وقول المحدث: "رجالُه رجال الصَّحيح" لا يلزم منه أن الحديث صحيح، فربما يكون رجاله ثقات ولكنه منقطع، أو فيه علة خفية، أو أنه شاذ، فشرط الصحيح خمسة: أن يكون رجاله عدولاً وحفاظاً، أي: أن يكونوا ثقات، هذا الشرط الأول والثاني. الشرط الثالث: أن يكون إسناده متصلًا؛ أي: ليس فيه انقطاع. الشرط الرابع: ألا يكون شاذًا. الشرط الخامس: ألا يكون معللاً. فهذه خمسة شروط: العدالة والحفظ واتصال الإسناد وعدم الشذوذ وعدم العلة، لا بد أن تتحقق كي يكون الحديث صحيحاً، فإذا قال المحدث: رجاله رجال الصَّحيح- على التسليم بأنهم كلهم ثقات، بمعنى أنهم عدول وحفاظ- فقد توفر عندنا شرطان من خمسة، لكنه لم يذكر شيئاً عن بقية الشروط. قال: (رجالُه رجال الصَّحيح غير شبيب وهو ثقة)

يعني: هم أنفسهم أخرج لهم البخاري أو مسلم أو كلاهما ما عدا شبيب، وشبيب ثقة على قوله. وشبيب هذا في حقيقة الأمر لم يوثقه معتبر، ثم هو تفرد بهذه الزيادة في الحديث،

1- (56/10)

2- (2744)

3- (1990)

وأصل الحديث: "الإيمان يمان، والحكمة يمانية" ثابت في الصحيحين⁽¹⁾،

لكن بزيادة: "وأجد نَفْسَ رَبِّكم من قبل اليمين" هذه الزيادة تفرد بها شبيب⁽²⁾؛ فهي زيادة منكرة، فالحديث ضعيف لا يصحّ، وإذا كان الحديث ضعيفاً؛ فقد أغنى عن الكلام فيه ولسنا بحاجة إلى أن نثبت الصفة التي ذكرتموها، ولا أن نتأول الخبر، فنقول لكم: الحديث ضعيف وينتهي الأمر، وقد ضعّفه الإمام الألباني رحمه الله في "الضعيفة"⁽³⁾.

قال المؤلف: **(وهذا الحديث على ظاهره)**

يعني: لو سلّمنا بأنّ الحديث صحيح، فنقول لكم: هذا الحديث على ظاهره.

قال: **(والنَّفْس فيه اسم مصدر نَفَسَ يَنْفَسُ تنفيساً، مثل: فرَج يفرِّج تفرجاً وفرجاً. هكذا**

قال أهل اللغة، كما في النهاية، والقاموس، ومقاييس اللغة)

"النهاية في غريب الحديث والأثر" كتاب لابن الأثير وهو أجمع كتاب للألفاظ الغريبة في السّنة ولكنّ صاحبه لم يكن على عقيدة أهل السّنة والجماعة فينتبه لهذا، إذا مرّت مسألة متعلقة بالعقيدة فينتبه لهذا الأمر.

و"القاموس" الظاهر أنّه يعني: "القاموس المحيط" للفيروز أبادي، وهو من كتب معاجم اللغة العربية المعتمدة.

و"مقاييس اللغة" هو "معجم مقاييس اللغة" لابن فارس وهو من أفضل كتب معاجم اللغة. فـ "معجم مقاييس اللغة" لابن فارس، و"الصّحاح" للجوهري، و"تهذيب اللغة" للأزهري، هذه الثلاثة من أنفس كتب المعاجم، وكتاب "لسان العرب" كتاب جمّاع، قد جمع كلام أئمة اللغة.

قال: **(قال في "مقاييس اللغة"⁽⁴⁾: "النَّفْس: كلّ شيء يفرج به عن مكروب"، فيكون معنى**

الحديث: أنّ تنفيس الله تعالى عن المؤمنين يكون من أهل اليمن).

إذاً لا نصرف اللفظ عن ظاهره أبداً، بل نفسره بمقتضى اللغة العربية وهذا مقتضاه أمامكم، إذاً ليس هو صفة لله سبحانه وتعالى.

1- أخرجه البخاري (4388)، ومسلم (52) عن أبي هريرة.

2- أخرجه أحمد (10978)

3- (1097)

4- (460/5)

قال: (قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وهؤلاء هم الذين قاتلوا أهل الردة")
يعني: أهل اليمن.

قال: (وفتحو الأمصار، فبهيم نفّس الرحمن عن المؤمنين الكربات" اهـ (ص 398، ج 6)
مجموع فتاوى شيخ الإسلام: لابن قاسم)
الكلام واضح.

وعلى كلّ حال نحن جوابنا الأساسي: الحديث ضعيف، وبما أنّه ضعيف فلا يُشكل علينا أصلاً،
فنحن لا نعتمد في عقيدتنا إلّا على أحاديث صحيحة فقط وينتهي الأمر.

قال المؤلف رحمه الله: (المثال الرابع قوله تعالى: {ثم استوى إلى السماء})

قال أهل التعطيل: إنكم يا أهل السّنة حرّفتُم النّص؛ لأنّ ظاهر قوله: ﴿ثم استوى إلى
السّماء﴾ أنّه كان في الأرض نازلاً ثمّ صعد إلى السّماء مرتفعاً، فهل أنتم تقولون بهذا الظاهر يا
أهل السّنة؟

فنقول لهم: لا، لا نقول بهذا.

قال أهل التعطيل: إذا أوّلتم النّص، يعني: صرفتموه عن ظاهره؛ فلذلك لا تعيبوا علينا التّأويل.
فنجيبهم بجوابين:

- الأول: إن كنا أوّلنا النّص فأولناه لدليل شرعي صحيح؛ لأنّه قد ثبت بالأدلة الشرعية

الصحيحة القاطعة بأنّ الله سبحانه وتعالى علوه علو ذات،

يعني: لا يمكن أن يكون في وقت من الأوقات أسفل خلقه أبداً، بل هو عالٍ على خلقه دائماً،
وهذا أدلته الشرعية كثيرة متواترة، فعندما نتأول هذا النّص، نتأوله بناء على دليل شرعي
صحيح؛ إن أوهم النّص المعنى الذي ذكرتموه؛ لأنّ معنى كلمة الاستواء العلوّ، فقالوا: ﴿ثم

استوى إلى السّماء﴾؛ يعني علا إلى السّماء وقبل ذلك لم يكن عالٍ عليها، يعني: كان تحتها هكذا

يزعمون، لكن هذا الكلام باطل؛ لأننا نقول: استوى إلى السّماء هنا إن فسرناها على معنى العلو
والارتفاع فلا يلزم من ذلك أن يكون قبل ذلك غير عالٍ ولا مرتفع، بل هو علو وارتفاع آخر مع
علوه وارتفاعه تبارك وتعالى.

وانظر الآن سأعطيكُم مثلاً في المخلوق الضعيف فقط كي تتصوروا المسألة؛ لتقريب المسألة فقط، انظر أنت عندما تكون واقفاً بجانب الكرسي، أيكما أعلى أنت أم الكرسي؟ أنت أعلى من الكرسي،

طيب فإذا جلست على الكرسي فقد علوت وارتفعت عن الكرسي، والله المثل الأعلى، إذاً لا يلزم من ذلك أن يكون الله سبحانه وتعالى تحت السماء قبل أن يرتفع إلى السماء، أو أن يكون على الأرض، هذا اللازم باطل فنحن نثبت المعنى وننفي اللازم الذي زعمتموه ونبطله فلسنا بحاجة إلى التأويل أصلاً؛ لأنّ الاستواء بهذا المعنى لا يُنافي علوه تبارك وتعالى على خلقه، فذاك ارتفاع دائم لا ينتفي في وقت من الأوقات، هو دائماً عالٍ ومرتفع لذلك نقول العلوّ صفة ذاتية لله تبارك وتعالى، حتى وإن نزل تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا فعلوه باقٍ لا ينتفي أبداً، هذا على تفسير معنى استوى بمعنى: ارتفع، ويوجد تفسير آخر سيأتي من كلام المصنف رحمه الله.

قال المصنف رحمه الله: **(والجواب أنّ لأهل السنّة في تفسيرها قولين:**

أحدهما: أنّها بمعنى: ارتفع إلى السماء، وهو الذي رجّحه ابن جرير، قال في "تفسيره")

ابن جرير الطبري رحمه الله إمام المفسرين في زمنه وبعده، وهو سلفي صاحب عقيدة صحيحة، ابن جرير الطبري، والبغوي، وابن كثير هؤلاء من المفسرين السلفيين، عقيدتهم سليمة، من أصحاب التفاسير التي انتشرت وكان لها خير ومنفعة كبيرة جداً، وإلا فالمفسرون السلفيون كُثُر منهم ابن أبي حاتم صاحب التفسير العظيم الذي طبع بعضه، أيضاً هذا من المفسرين السلفيين، ومنهم ابن المنذر رحمه الله، طبع له بعض كتابه كذلك، وغيرهم، لكن الكتب التي انتشرت بين الناس واشتهرت وطبعت تامة هذه الثلاثة.

قال رحمه الله: **(بعد أن ذكر الخلاف)**

يعني: ابن جرير الطبري

قال: **("وأولى المعاني بقول الله جل ثناؤه: {ثم استوى إلى السماء فسواهن} علا عليهن وارتفع،**

فدبرهن بقدرته، وخلقهن سبع سموات)

نفس معنى كلمة استوى في اللغة العربية.

قال: **(وذكره البغوي في تفسيره: قول ابن عباس وأكثر مفسري السلف، وذلك تمسكاً بظاهر**

لفظ: {استوى}، وتفويضاً لعلم كيفية هذا الارتفاع إلى الله عز وجل)

كيف ارتفع إلى هذا السماء؟ نقول: الله أعلم، لكنه ارتفع.

يقول يلزم من ذلك أن تكون السماء أعلى منه؟

نقول له: باطل، هذا اللازم ليس بلازم فقط ونكتفي بهذا، وهذا يكفيننا فنكون قد فسرنا الكلمة على معناها الحقيقي.

قال المؤلف: (القول الثاني: أن الاستواء هنا بمعنى القصد التام، وإلى هذا القول ذهب ابن كثير في تفسير سورة البقرة، والبغوي في تفسير سورة فصلت.

قال ابن كثير: أي قصد إلى السماء والاستواء ههنا ضَمَّن معنى القصد والإقبال؛ لأنه عُدِّي (بإلى)

ما معنى التضمين؟

يعني: أعطي معنى تلك الكلمة، فكلمة استوى في اللغة ليس كذلك معناها، لكن أعطيناها معنى القصد؛ لأنها عُدِّيَتْ بِـ (إلى)، أي: لأنَّ حرف الجرّ الذي جاء بعد هذه الكلمة: إلى،

لاحظ في آية: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ يعني: استوى على العرش، حرف الجرّ الذي دخل

على استوى هنا هو: (على)، فقالوا: لما جاء حرف الجرّ (على) دلّ ذلك على العلوّ والارتفاع، لا إشكال، لكن إذا جاء حرف: (إلى) مع استوى قالوا: هنا يكون إشكال في هذا الموضع،

فلذلك طريقة أهل البصرة والكوفة تختلف في مثل هذا في لغة العرب، فتارةً بعضهم يُعطي

الحرف معنى آخر كي يتناسب مع الكلمة، والبعض: لا، يعطي الفعل معنى فعل آخر كي

يتناسب مع الحرف، ويسمونه: "تضمين"، إمّا أن تُضمّن الفعل معنى فعل آخر أو أن تُضمّن

الحرف معنى حرف ثانٍ، انظر إلى قول الله تبارك وتعالى - كما يأتي في كلام المصنف -: ﴿عَيْنًا

يشرب بها عباد الله﴾ كيف يشرب بها؟ يشرب تُعدى⁽¹⁾ بماذا؟

بحرف آخر وهو: (من) فتقول: يشرب منها، يشرب من العين ليس يشرب بالعين، لأنّك لو قلت:

يشرب بالعين صارت العين هنا آلة للشرب مثل: الكوب وليس كذلك، بل يشرب منها،

1- معنى تعدى: يعني تصل إلى الفعل بحرف، فلا يصح أن تقول مثلاً: يشربها؛ لفساد المعنى، فلا بد من حرف جر كي يستقيم المعنى به، ولكل حرف معنى كما هو مقرر في كتب اللغة.



طيب فهنا قالوا يشرب بها: يعني يشرب منها، انظر كيف غير معنى حرف الجرّ، ضمّنوه معنى (من) كي يتناسب مع الفعل، وهذه طريقة لغوية صحيحة عند العرب، ليس فيها أي بأس، عندنا قرينة هي حرف الجرّ، فلا تقل والله صرفت اللفظ عن ظاهره فهو تأويل، فنقول لك: هذا باطل؛ لأنّ حرف الجرّ هو الذي عين المعنى عندي هنا، لو لم يأت حرف الجر هذا وجاء (على) لقلت لك: والله من فسرّه بهذا التفسير فقد صرف اللفظ عن ظاهره، لكن لم يأت كذلك، بل أتى مع حرف (إلى)؛ فلذلك فسّروه بهذا.

قال المؤلف: **(والاستواء ههنا ضمّن معنى القصد والإقبال)،**

هذا معنى التضمين، يعني: نعطي الاستواء معنى آخر، معنى كلمة ثانية وهي: القصد والإقبال، والسبب: **(لأنه عُدّي بالي)**؛ يعني: جاء حرف (إلى) بعده كي يوصل المعنى إلى الكلمة التي بعدها، هذا معنى التعدية.

قال: **(قال البغوي: أي عمد إلى خلق السماء)**

عمد يعني: قصد.

قال المؤلف: **(وهذا القول ليس صرفاً للكلام عن ظاهره)**

تأمل الآن لماذا ليس صرفاً للكلام عن ظاهره؟

قال المؤلف رحمه الله: **(وذلك لأنّ الفعل {استوى} اقترن بحرف يدلّ على الغاية والانتهاء)** إلى كذا، يعني ينتهي إليه.

قال: **(فانتقل إلى معنى يُناسب الحرف المقترن به، ألا ترى إلى قوله تعالى: {عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ} حيث كان معناها يَرَوِي بها عباد الله: لأنّ الفعل: {يَشْرَبُ} اقترن بالباء فانتقل إلى معنى يناسبها وهو يروى، فالفعل يُضمّن معنى يناسب معنى الحرف المتعلق به ليلتئم الكلام)**

هما طريقتان من طرق أهل العلم باللغة العربية في التعامل مع مثل هذه الجمل، يشرب بها، كلّ حرف من حروف الجر له معنى، فعندما تقول: يشرب بها، تكون هذه الباء دخلت على الآلة، يعني تقول أنت أشرب بالكوب، يعني الكوب هو آلة الشرب، لكن إذا قلت يشرب منها فأنت أخذت، أي: اقتطعت جزءاً من الماء وشربته من العين، فيشرب منها هو المراد هنا، من سياق



- الآية يتبين معنا أنّ المراد: يشرب منها، لكنّ الآية جاءت يشرب بها، فللعلماء في ذلك قولان:
- قول يقول: نعطي الفعل معنى فعل آخر يتناسب مع الحرف، فمثل هذا قالوا: يشرب بها، نقول: يروى بها، يحصل الرّي بهذه العين.
 - وقول آخر قالوا: نبقى الفعل كما هو: يشرب، ولكنّا نُضمّن الحرف معنى حرف آخر يتناسب مع الفعل، فأعطوا الباء معنى حرف من.
- فهما طريقتان من طرق أهل العربية.
- إذاً هل هناك تأويل؟ لا.

يقول لك: لماذا قلتَ لمن قال ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ أي: استولى: تأويلاً، وعندما فسرتم الاستواء الذي هو أصلاً في اللغة العربية بمعنى الارتفاع؛ عندما فسرتموه بالقصد لم تقولوا هو تأويل؟

نقول لك: السبب في ذلك: أنّ ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ دخل عليها حرف (على) الذي يؤكد معناه بمعنى: العلو والارتفاع، أمّا هذه الآية: ﴿ثم استوى إلى السماء فسواهن﴾ فدخل على الاستواء حرف: (إلى) الذي يدلّ على معنى القصد، فصار عندنا في نفس الآية قرينة تدلّ على المعنى المراد، فهذا لا يُسمى تأويلاً، هذا يسمى ظاهر النص؛ لأنّنا قد اتفقنا في السابق: أنّ الظاهر يظهر من خلال السياق والسباق ومن خلال التركيب والإضافة، كلّ هذا يبين لنا ظاهر المعنى، وبما أنّ هذا مستعمل في اللغة العربية، إذاً لا يعد تأويلاً، هذا إن حملنا معنى الاستواء على معنى القصد،

وأما إن فسرناه على المعنى الأول وهو معنى الارتفاع؛ زال الإشكال تماماً، فلا شبهة عندهم في هذا الأمر نهائياً،

واللازم الذي زعموه لهذا المعنى نفينا وقلنا لا يلزم وانتهى الأمر، هذا ما يتعلق بهذا المبحث وبهذه الشبهة.

ننبه على أنّ الذين قالوا بالتفسير الأول: وهو أنّ استوى بمعنى ارتفع قالوا هنا: ﴿ثم استوى إلى السماء﴾: ارتفع على السماء، فصار معنى (إلى) متضمناً معنى (على)، فيكون عندهم التضمين

حصل للحرف، بينما الآخرون التضمين حصل للفعل، وكلاهما صحيح في لغة العرب على مذهب الكوفيين ومذهب البصريين.

قال المؤلف رحمه الله: (المثال الخامس والسادس: قوله تعالى في سورة الحديد: {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ} ⁽¹⁾، وقوله في سورة المجادلة: {وَلَا أَدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا} ⁽²⁾).

- هذه شبهة عندهم، زعموا أنّ ظاهر هذه الآية أنّ الله معنا بذاته، هذا ظاهرها عندهم، وقالوا: أنتم تقولون إنّ الله معنا بعلمه؛ فأنتم تأوّلتم، فنقول لهم: عندنا جوابان:
- الأول: لا نُسلم لكم أنّ هذا المعنى الذي ذكرتموه؛ وهو أنّ الله معنا بذاته هو ظاهر الآية، هذا باطل لا نسلم به، وسياق الآية يدلّ على بطلان قولكم، وعلى صواب ما قلناه نحن، وسنذكر لكم إن شاء الله ذلك من كلام المصنف.
 - الأمر الثاني: سلّمنا لكم بأنّ الظاهر ما ذكرتموه، فنقول لكم: نحن فسّرناه بمعنى أنّه معنا بعلمه لقرائن وأدلة شرعية تدلّ أنّ الله عالٍ على خلقه وليس معنا بذاته، كلّ الأدلة التي دلّت على علوّ الله على خلقه تدلّ على ذلك، وهي متواترة، فهما جوابان نجيب بهما عن هذه الشبهة، فإن قلنا بأنّ الظاهر ما زعمتموه، فتأويلنا يكون تأويلاً صحيحاً بأدلة شرعية صحيحة، أمّا تأويلاتكم فباطلة؛ لأنّها لا أدلة شرعية صحيحة عليها، لكننا مع ذلك في الأصل لا نسلم أنّ الظاهر هو ما ذكرتموه، وسيأتي ما يبين لكم أنّ الظاهر هو ما فسّرنا عليه الآية وهو أنّه معنا بعلمه.

قال المصنف: (والجواب: أنّ الكلام في هاتين الآيتين حقّ على حقيقته وظاهره. ولكن ما حقيقته وظاهره؟)

هل حقيقته وظاهره ما تزعمونه؟ لا، هذا كذب، الحقيقة والظاهر هو ما زعمناه نحن، أو ما نصصنا عليه نحن، - زعم هذه تأتي أحياناً للتشكيك في الكلام، وأحياناً تأتي لتصديق الكلام، فلا مشكلة فيها.

[1] [الحديد:4]

[2] [المجادلة:7]

قال: (هل يُقال: إنّ ظاهره وحقيقته أنّ الله تعالى مع خلقه معيّة تقتضي أن يكون مختلطاً بهم، أو حالاً في أمكنتهم؟)

هذا المعنى الذي زعموه هم، قالوا بأنّ الله معنا، يعني: معنا بذاته، فهو مختلط بنا، على ما تقوله فرق الضلال من الصوفية والجهمية وغيرهم.

قال: (أو يُقال: أنّ ظاهره وحقيقته أنّ الله تعالى مع خلقه معيّة تقتضي أن يكون محيطاً بهم: علماً وقدرَةً وسمعاً وبصراً وتديراً وسلطاناً، وغير ذلك من معاني ربوبيته، مع علوّه على عرشه فوق جميع خلقه؟)

هذا المعنى الثاني هو الصحيح وهو ظاهر النصوص.

قال رحمه الله: (ولا ريب أنّ القول الأول لا يقتضيه السياق)

وهو المعنى الذي ذكره بأنّ الله معنا بذاته.

قال: (ولا يدلّ عليه بوجه من الوجوه؛ وذلك لأنّ المعيّة هنا أضيفت إلى الله عز وجل، وهو أعظم وأجلّ من أن يحيط به شيء من مخلوقاته)

لأنّّه عز وجل هو الذي قال: إنه معنا، وبما أنّه معنا فهو أجلّ من أن يكون مختلطاً بنا ومعنا بذاته.

قال: (ولأنّ المعيّة في اللغة العربية التي نزل بها القرآن لا تستلزم الاختلاط أو المصاحبة في المكان، وإنّما تدلّ على مطلق المصاحبة، ثم تفسر في كلّ موضع بحسبه)

يعني: عندما تُطلق كلمة المعيّة لا يقتضي منها مباشرة الاختلاط، وأن يكون معنا بذاته في لغة العرب؛ بل كما يُقال: أحياناً تكون بمعنى آخر، كأن تقول مثلاً: سرنا والقمر معنا، هل يلزم من ذلك أنّ القمر يخالطنا وهو بيننا؟ لا يلزم، إذاً فكلّمة "مع" في لغة العرب لا يلزم منها المخالطة.

قال: (وتفسير معية الله تعالى لخلقه بما يقتضي الحلول والاختلاط باطل من وجوه :
الأول: أنّه مخالف لإجماع السلف. فما فسرهما أحد منهم بذلك؛ بل كانوا مجمعين على إنكاره.

الثاني: أنّه منافٍ لعلوّ الله تعالى الثابت بالكتاب، والسنة، والعقل، والفطرة، وإجماع

السلف، وما كان منافياً لما ثبت بدليل كان باطلاً بما ثبت به ذلك المنافي. وعلى هذا فيكون تفسير معية الله لخلقه بالحلول والاختلاط باطلاً بالكتاب والسنة والعقل والفطرة وإجماع السلف)

وكثير منهم يقرّ معنا بذلك، إلّا أهل الحلول والاتحاد والجهمية الذين يقولون: الله في كل مكان.

قال: (الثالث: أنّه مستلزم للوازم باطلة لا تليق بالله سبحانه تعالى.

ولا يمكن لمن عرف الله تعالى وقدره حقّ قدره، وعرف مدلول المعية في اللغة العربية التي نزل بها القرآن أن يقول: إنّ حقيقة معية الله لخلقه تقتضي أن يكون مختلطاً بهم أو حالاً في أمكنتهم، فضلاً عن أن تستلزم ذلك. ولا يقول ذلك إلّا جاهل باللغة، جاهل بعظمة الربّ جلّ وعلا.

فإذا تبين بطلان هذا القول تعين أن يكون الحقّ هو القول الثاني، وهو أنّ الله تعالى مع خلقه معية تقتضي أن يكون محيطاً بهم: علماً وقدرَةً وسمعاً وبصراً وتديراً وسلطاناً، وغير ذلك مما تقتضيه ربوبيته مع علوّه على عرشه فوق جميع خلقه.

وهذا هو ظاهر الآيتين بلا ريب؛ لأنّهما حقّ، ولا يكون ظاهر الحقّ إلّا حقّاً، ولا يمكن أن يكون الباطل ظاهر القرآن أبداً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في "الفتوى الحموية" (ص 103، ج 5) من "مجموع الفتاوى" لابن القاسم: "ثم هذه المعية تختلف أحكامها بحسب الموارد، فلمّا قال: {يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا} إلى قوله: {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ} ⁽¹⁾ دلّ ظاهر الخطاب على أنّ حكم هذه المعية ومقتضاها: أنّه مطلع عليكم، شهيد عليكم، ومهيمن عالم بكم، وهذا معنى قول السلف إنّهم معهم بعلمه)

لأنّه بدأ الآية بالحديث عن العلم وختمها بالكلام عن العلم؛ فدلّ ذلك على أنّ المقصود بالمعية: العلم.

قال: (وهذا ظاهر الخطاب وحقيقته.

وكذلك في قوله: {مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُمْ رَاٰبِعُهُمْ} إلى قوله: {هو معهم أين ما كانوا} (1)

لأنّ سياق الآية كلّها كان في العلم، فلذلك دلّ على أنّ المعية المقصودة هي معية العلم.

قال: (ولمّا قال النبي ﷺ لصاحبه في الغار: {لا تحزن إنّ الله معنا} (2) كان هذا أيضاً حقّاً على ظاهره، ودلّت الحال على أنّ حكم هذه المعية هنا معية الاطلاع والنصر والتأييد)
ماذا كان حالهم؟

كان أبو بكر خائفاً أن يطلع الكفار عليهم فيجدوهم ويقتلوهم، فكان خائفاً فلمّا رأى النبي ﷺ منه ذلك قال: ﴿لا تحزن إنّ الله معنا﴾ فيدلّ الحال الذي كانوا عليه على المعنى المراد من المعية وهي معية النصرة ومعية التأييد، فهذا واضح من الكلام، وسياقه يدلّ على ظاهره.

قال المؤلف رحمه الله: (ثم قال: "لفظ المعية قد استعمل في الكتاب والسنة في مواضع، يقتضي في كلّ موضع أموراً لا يقتضيها في الموضع الآخر. فإمّا أن تختلف دلالتها بحسب المواضع، أو تدلّ على قدر مشترك بين جميع مواردّها، وإن امتاز كلّ موضع بخاصية، فعلى التقديرين ليس مقتضاها أن تكون ذات الرّب عزّوجلّ مختلطة بالخلق، حتى يُقال: قد صرفت عن ظاهرها" اهـ)

يعني: لفظ المعية يُفهم معناه من خلال ما يدلّ عليه سياق الألفاظ التي تأتي، والحال، وسبب النزول، كلّ هذه الأشياء تدلّ على المعنى المراد من المعية، وهي على جميع الأحوال لا تدلّ على معنى معية في ذاته مختلطاً بخلقه، لا تدلّ على هذا المعنى نهائياً، في جميع المواضع.

قال المؤلف: (ويدلّ على أنّه ليس مقتضاها أن تكون ذات الرّب عزّوجلّ مختلطة بالخلق: أنّ الله تعالى ذكرها في آية المجادلة بين ذكر عموم علمه في أول الآية وآخرها، فقال: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُمْ رَاٰبِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا

[1] - [المجادلة:7]

[2] - [التوبة:40]

هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ⁽¹⁾

انظر إلى هذه الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ بدأها بالعلم، وختمها بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، إذاً ظاهر الآية على أن الله معنا بعلمه.

قال: (فيكون ظاهر الآية: أن مقتضى هذه المعية علمه بعباده، وأنه لا يخفى عليه شيء من أعمالهم، لا أنه سبحانه مختلط بهم، ولا أنه معهم في الأرض.

أما في آية الحديد فقد ذكرها الله تعالى مسبوقة بذكر استوائه على عرشه، وعموم علمه متلوة ببيان أنه بصير بما يعمل العباد، فقال: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ⁽²⁾}

وهذه واضحة الدلالة أيضاً، هو عالٍ على عرشه، ومع ذلك يعلم كل شيء في خلقه،

قال: (فيكون ظاهر الآية: أن مقتضى هذه المعية: علمه بعباده وبصره بأعمالهم مع علوه عليهم واستوائه على عرشه، لا أنه سبحانه مختلط بهم، ولا أنه معهم في الأرض، وإلا لكان آخر الآية مناقضاً لأولها الدال على علوه واستوائه على عرشه.

فإذا تبين ذلك علمنا أن مقتضى كونه تعالى مع عباده أنه يعلم أحوالهم، ويسمع أقوالهم، ويرى أفعالهم، ويدبر شؤونهم، فيحي ويميت، ويغني ويفقر، ويؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، إلى غير ذلك مما تقتضيه ربوبيته وكمال سلطانه، لا يحجبه عن خلقه شيء. ومن كان هذا شأنه فهو مع خلقه حقيقة، ولو كان فوقهم على عرشه حقيقة)

لاحظ قوله هنا: (ومن كان هذا شأنه فهو مع خلقه حقيقة) معية علمية، وليس معهم بمعنى الاختلاط.

[1] - [المجادلة:7]

[2] - [الحديد:4]

وقوله: (ولو كان فوقهم على عرشه حقيقة) هو فوقهم على عرشه حقيقة ولكن بعلمه وتدبيره هو معهم.

قال: (قال شيخ الإسلام ابن تيمية في "العقيدة الواسطية" (ص 142، ج 3) من "مجموع الفتاوى" لابن قاسم، في فصل الكلام على المعية، قال: "وكلّ هذا الكلام الذي ذكره الله سبحانه من أنه فوق العرش، وأنه معنا، حق على حقيقته، لا يحتاج إلى تحريف، ولكن يُصان عن الظنون الكاذبة" اهـ).

ما المقصود بقوله: (بحقّ على حقيقته)؟

يعني: بعلمه وتدبيره وحفظه تبارك وتعالى، لا يعني ذلك أنه مختلط بهم، ولكنه أراد أن يقول هذا المعنى الذي ذكرناه ليس صرفاً لها عن ظاهرها الذي هو حقيقتها، وهذا المعنى الذي ذكره. وقوله: (ولكن يُصان عن الظنون الكاذبة)، الظنون الكاذبة: أنّ الله مختلط بهم.

قال: (وقال في "الفتاوى الحموية" (ص 102، 103، ج 5) من المجموع المذكور: "وجماع الأمر في ذلك: أنّ الكتاب والسنة يحصل منهما كمال الهدى والنور لمن تدبر كتاب الله وسنة نبيه، وقصد اتباع الحق، وأعرض عن تحريف الكلم عن مواضعه، والإلحاد في أسماء الله وآياته. ولا يحسب الحاسب أنّ شيئاً من ذلك يُناقض بعضه بعضاً البتة، مثل أن يقول القائل: ما في الكتاب والسنة من أنّ الله فوق العرش يخالفه الظاهر من قوله: "وَهُوَ مَعَكُمْ"، وقوله ﷺ: "إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإنّ الله قبل وجهه"⁽¹⁾ ونحو ذلك، فإنّ هذا غلط، وذلك: أنّ الله معنا حقيقة، وهو فوق العرش حقيقة، كما جمع الله بينهما في قوله سبحانه وتعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} ⁽²⁾، فأخبر أنّه فوق العرش يعلم كلّ شيء وهو معنا أينما كنا، كما قال النبي ﷺ في حديث الأوعال: "والله فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه"⁽³⁾ اهـ).

1- أخرجه مسلم (3008) عن جابر

وعند البخاري (405) عن أنس: "إن ربه بينه وبين القبلة"

2- [الحديد:4]

3- أخرجه أحمد (1770) من حديث العباس، وأصله عند أبي داود (4723)، والترمذي (3320)، وابن ماجه (193)، وهو حديث ضعيف

انتهى هنا كلام ابن تيمية رحمه الله.

وخلاصة هذا البحث كله:

أنّ علوّ الله تبارك وتعالى على خلقه بذاته كما قال الرحمن تبارك وتعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾،

وأنّ معيّته المقصود بها:

- معيّة العلم،

- ومعيّة الإحاطة،

- ومعيّة التدبير،

هذه عقيدة أهل السنّة والجماعة، وما جاء من آيات فهم منها أهل التعطيل الحلول والاتحاد، أو فهموا منها المخالطة لله تبارك وتعالى لخلقه، فما فهموه باطل، وظاهر النصوص لا يدلّ على ما ذكروا، بل سياقها يدلّ بشكل واضح على أنّ المراد به العلم والإحاطة والتدبير والنصر والحفظ، إلى غير ذلك من أفعاله تبارك وتعالى،

فإذاً الظاهر منفي، ولو سلّمنا لهم بأنّ ظاهر ما ذكروه فهي مؤولة باعتبار ما دلّت عليه الأدلة الأخرى الواضحة المحكمة من أنّ الله عالٍ على عرشه، وليس مختلطاً بهم، فتكون شهتهم منفية؛ لأننا لو تأولنا؛ فقد تأولنا غير التأويل الذي تأولوه هم، تأويلنا يختلف عن تأويلكم، تأويلكم لغير أدلة شرعية وتأويلنا للأدلة شرعية، ومع هذا كلّ لا نسلم لكم بأننا صرفنا النصوص عن ظاهرها لأنّ ظاهرها حقّ، فنصوص الكتاب والسنّة ظواهرها حقّ، ولا تحتاج منّا إلى تأويل، وما ذكرتم أننا تأولناه فإمّا أنّه ضعيف أصلاً لا يصحّ، أو أنّه صحيح ولكن فهمكم لظاهره باطل، ولا نسلم لكم بأنّه هو الظاهر، بل الظاهر ما ذكرناه لكم بدلالة السياق والسباق والتركيب والإضافة وسبب النزول، كلّ هذه الأشياء تعيننا على فهم ظواهر النصوص والمراد منها.

إذن المقرر عند أهل السنّة والجماعة أنّ الله سبحانه وتعالى عالٍ على خلقه مستوٍ على عرشه تبارك وتعالى، وهو معهم أينما كانوا، المعية هنا المقصود بها: معية العلم، معية الحفظ، معية النصرة.

• والمعية معيتان:

- معية عامة للناس جميعاً: وهي معية العلم والإحاطة،
- ومعية خاصة: معية النصر والتأييد وهذه خاصة بالمؤمنين،

أما الأولى فهي عامة لجميع الناس،

والمعِيَّة التي وردت في هاتين الآيتين- آية سورة الحديد، وآية سورة المجادلة- وغيرها من الآيات هي معِيَّة الله سبحانه وتعالى بعلمه، بإحاطته، بنصرته، بتأييده إلى آخره، وليست معية بذاته تبارك وتعالى، فهو ليس مختلطاً بعباده،

فالآيات والأحاديث التي دلّت على المعِيَّة لا تستلزم ذلك،

هذا ما يجب أن يعتقده المسلم في هذه المسألة، أنّ الله سبحانه وتعالى عالٍ على عرشه وهو معهم بعلمه، هذا ما يقرره علماء السلف رضي الله تعالى عنهم، وهذه الآيات التي ذكرت هنا لم يصرفها أهل السُنّة والجماعة عن ظاهرها، بل سياقها يدلّ على أنّ المقصود منها هو العلم، المعِيَّة العلمية.

